

أنا هو الباب

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نتابع في لقاء اليوم حديثنا عن حقيقة شخصية المخلص المسيح، وإن كان هو مجرد نبي كباقي الأنبياء أم شخصية مختلفة؟

وكنا قد تحدثنا عن عدة عجائب قام بها المسيح تؤكد حقيقة شخصيته الإلهية. كعجيبته إقامته للعازر من القبر، وشفائه للرجل المقعد، وللرجل الذي ولد أعمى، وإطعامه للجموع الغفيرة، وأيضا عدم إدانته للمرأة الزانية. وقد رافقت هذه العجائب تصريحات هامة للمسيح، تؤكد أنه كلمة الله الأزلي المتجسد، وابن الله الوحيد. كقوله: أنا هو القيامة والحياة، أنا هو نور العالم، أنا هو خبز الحياة. وأن الله قد أعطاه السلطان لكي يقيم الأموات ويدينهم.

وفي اللقاء الماضي تأملنا بمعاني قول المسيح أنه خبز الحياة الذي نزل من السماء. وتبين لنا أن المسيح صار خبز الحياة ببذله لجسده على الصليب للتكفير عن خطايانا. وأنه من المهم أن نؤمن به لكي نحصل على خبز الحياة ونحيا إلى الأبد.

وفي لقاء اليوم سنتأمل بتصريح هام آخر للمسيح يكشف عن حقيقة شخصيته الإلهية. كما هو معروف فإن المجتمع الذي عاش فيه المسيح بفلسطين، كان مجتمعا زراعيا. وانطلاقا من هذا المجتمع كان المسيح يقدم الأمثال. تحدث مرة المخلص المسيح إلى اليهود بهذا المثل قائلا: "الحق الحق أقول لكم إن الذي لا يدخل من الباب إلى حظيرة الخراف بل يطلع من موضع آخر فذاك سارق ولص. وأما الذي يدخل من الباب فهو راعي الخراف. ولهذا يفتح البواب والخراف تسمع صوته فيدعو خرافه الخاصة بأسماء ويخرجها. ومتى أخرج خرافه الخاصة يذهب أمامها والخراف تتبعه لأنها تعرف صوته. وأما الغريب فلا تتبعه بل تهرب منه لأنها لا تعرف صوت الغريب." (بشارة يوحنا ١٠: ١-٥)

من المعروف أنه كانت توجد حظائر توضع فيها الخراف. وكان يوجد لكل حظيرة باب يدخل منه راعي الخراف. أما الغريب الذي يريد أن يسرق الخراف، فهو بالطبع لن يدخل من باب الحظيرة لئلا ينكشف أمره. وكان راعي الخراف في تلك الأيام، يدخل من باب الحظيرة وينادي خرافه بأسمائها ويخرجها. ثم يسير أمامها وهي تتبعه لأنها تعرف صوته. لكن هذه الخراف كانت تهرب من الغريب، لأنها لا تعرف صوته.

كان هذا المثل الذي قاله المخلص المسيح لليهود ومعلميهم من الكتبة والفريسيين، لكنهم لم يفهموا ما أراد أن يقوله لهم. لقد شبّه المسيح الناس بالخراف، وشبّه نفسه براعي الخراف الحقيقي الذي يدخل من الباب. لكنه شبّه في نفس الوقت معلمي اليهود من معاصريه بالسُّراق واللصوص. والسبب لأنهم يسعون وراء مصالحهم الخاصة الأنانية، ولا يهتمون بمصير الخراف أي الناس. لا بل على العكس يهدفون لتضليلهم. وأعلن المسيح في هذا المثل أن الخراف أو الناس الذين يريدون معرفة الله الحق من كل القلب، لا بد أن يتبعوه. لأنه هو الراعي الحقيقي الذي تعرف الناس حقيقة صوته الإلهي، وتميز صوته من بين الأصوات الأخرى.

لكن المسيح لم يتوقف عند هذا الحد بل أضاف قائلاً: " الحق الحق أقول لكم إنني أنا باب الخراف. جميع الذين أتوا قبلي هم سراق ولصوص. ولكن الخراف لم تسمع لهم. أنا هو الباب. إن دخل بي أحد فيخلص ويدخل ويجد مرعى. السارق لا يأتي إلا ليسرق ويذبح ويهلك. وأنا أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل." (بشارة يوحنا ١٠:٧-١٠).

إن المسيح ليس هو الراعي الحقيقي فحسب، بل هو أيضا الباب، الذي يجب أن يدخل منه الإنسان، لكي يخلص وينال الحياة الحقّة. فلما يصبح الإنسان من أولاد الله، عليه أن يؤمن بالمخلص المسيح الذي هو الباب. وعليّنا أن نلاحظ هنا قول المسيح: أنا هو الباب، مستخدماً الـ التعريف. أي لا توجد أبواب أخرى، إذ هو الباب الوحيد، للحصول على الغفران الكامل، ودخول ملكوت الله، ونوال الحياة الأبدية.

سننأمل الآن بمعاني هذا التصريح الهام الذي أدلى به المخلص المسيح. إن قول المسيح أنا هو الباب إن دخل بي أحد فيخلص، تأكيد على أهمية الإيمان به شخصياً، للحصول على خلاص الله وغفرانه الكامل. فيجب على الإنسان الذي يريد حقاً أن يخلص وينال الغفران عن ذنوبه، أن يدخل من الباب الوحيد للخلاص الذي هو المسيح، أي يؤمن فقط بالمخلص المسيح. وهذا ما عاد وأكدّه الرسول بطرس لرؤساء اليهود عندما كان معتقلاً مع باقي الرسل، إذ قال لهم: "وليس بأحد غيره الخلاص. لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص." (أعمال الرسل ٤:١٢)

إذن إن المسيح يا صديقي هو الباب أو الوسيلة الوحيدة لخلاص الإنسان، ولا توجد هناك أية أبواب أو وسائل أخرى يمكن للإنسان أن يخلص من خلالها، أو ينال رضى الله وغفرانه. إن المسيح ليس هو الباب الوحيد للخلاص فحسب، بل هو أيضا الباب الوحيد لكي يصبح الإنسان من أولاد الله، ويحل في داخله روح الله القدس، ويتمتع بسلام الله العجيب في قلبه. وهذا ما قصده المسيح عندما قال فيخلص ويدخل ويجد مرعى. أي لا ينال الإنسان عندما يؤمن بالمسيح الخلاص والغفران فحسب، بل يحوز على كل بركات الله التي يريد أن يتمتع بها الإنسان.

وهذا ما عاد المسيح وأكده بقوله: "أما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل." إن الإنسان عندما يؤمن بالمسيح ينال الحياة، أي الحياة الروحية، وعندها يستطيع أن يتمتع بكل غنى البركات الروحية الفضلى. فالمسيح إذن يهب الحياة والحياة الفضلى أيضا.

لكن ماذا عن أولئك السارقين للصوص أي معلمي اليهود من الكتبة والفريسيين؟ قال عنهم المسيح أنه لا عمل لهم سوى سرقة الخراف وذبحها وإهلاكها. فهم بشرائعهم الحرفية القاسية وتعاليمهم الباطلة، يخدعون الناس ويضلونها. وهم بذلك يقودونهم إلى الهلاك والنهاية الوخيمة. أو ليس هذا ما يفعله الكثيرون يا أعزائي حتى في أيامنا هذه؟ إن كل من يقود الناس إلى غير المسيح المخلص الذي هو الباب الوحيد، وينادي بشرائع وتعاليم باطلة، هو كمعلمي اليهود في زمن المسيح، يقود الناس إلى الهلاك والنهاية المؤلمة.

ولقد كشف المسيح أيضا في هذا التصريح الهام: أنا هو الباب، حقيقة شخصيته الإلهية. فالمسيح هو كلمة الله الأزلي الذي أرسله الله الأب، ليكون هو الباب الوحيد لخلاص الإنسان. ولقد صار المسيح هو الباب الحقيقي لخلاص الإنسان، بموته الكفاري على الصليب من أجل خطايانا، وقيامته المجيدة من بين الأموات. أي فتح الطريق للإنسان بواسطة عمل الفداء.

وأنت صديقي المستمع بمن تثق ولمن تسمع؟ هل تثق بأي معلم يقدم لك الشرائع القاسية والتعاليم الباطلة؟ أم تراك تميز صوت المسيح المخلص الذي يدعوك إلى التوبة والإيمان به؟ لم لا تدخل مستمعي من الباب الوحيد للخلاص الذي هو المخلص المسيح؟ وهو الذي قال عن نفسه أنا هو الباب. إن دخل بي أحد فيخلص ويدخل ويجد مرعى. وحينئذ تحصل على الحياة، لا بل الحياة الفضلى.